

﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ
وَأِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ

عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾ [النور: 32]

❁ مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

لَمَّا ذَكَرَتْ الْآيَاتُ السَّابِقَةُ مَا يَصُونُ الْأُسْرَةَ فِي كِيَانِهَا، وَمَا فِيهِ
صِيَانَةُ النِّسَاءِ مِنْ قَوْلِ السَّوِّءِ، وَأَنْ تُمَسَّ عِفَّتُهُنَّ بِالْأَنْظَارِ الْجَارِحَةِ،
فَأَمَرَ الرِّجَالَ بِغَضِّ الْبَصَرِ، وَأَمَرَ بِأَنْ تَكُونَ نَظَرَاتُ النِّسَاءِ غَيْرَ مُغْرِيَةٍ
لِأَهْلِ السَّوِّءِ، وَأَلَّا يَكُونَ إِبْدَاءُ الزَّيْنَةِ مُغْرِيًا لِأَهْلِ الدَّعَاةِ وَالْفُسَادِ،
وَذَلِكَ لِحِمَايَةِ النُّفُوسِ مِنَ الشَّرِّ: بَيْنَ بَعْدِ ذَلِكَ الْأَمْرِ الْإِيجَابِيِّ الَّذِي
يَصُونُ الْمَرْأَةَ وَالرَّجُلَ عَنْ تَطَلُّعَاتِ الشَّهَوَاتِ الْمُحَرَّمَةِ، وَهُوَ سَبِيلُ الْعِفَّةِ،
وَالطَّرِيقُ الصَّحِيحُ لِبَذْلِ الْغَرِيزَةِ وَالرَّغْبَةِ، وَهُوَ النِّكَاحُ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ:
﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَأِمَائِكُمْ﴾^(١).

النِّكَاحُ
عَلَى سَلَامَةٍ
النَّفْسِ
وَاسْتِقَامَةِ
الْجَوَارِحِ

❁ شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ:

(١) ﴿الْأَيْمَىٰ﴾: جَمْعُ أَيْمٍ، وَهِيَ الْمَرْأَةُ الَّتِي لَا زَوْجَ لَهَا^(٢)، ثَيِّبًا كَانَتْ
أَوْ بَكْرًا^(٣)، وَقَدْ قِيلَ: (أَيْمٌ) - أَيْضًا - لِلرَّجُلِ الَّذِي لَا امْرَأَةَ لَهُ، وَذَلِكَ
عَلَى طَرِيقِ التَّشْبِيهِ بِالْمَرْأَةِ، فَيَمْنُ لَا غِنَاءَ عَنْهُ، لَا عَلَى التَّحْقِيقِ^(٤)،
وَوِزْنُ (أَيْمٍ): (فَعِيلٌ) مَأْخُودٌ مِنْ: أَمَّ يَتَيْمٌ، كَبَاعَ يَبِيعُ، وَقِيَاسُ جَمْعِهِ:
أَيَائِمٌ، وَوِزْنُ (أَيَامِي): فَعَالِي، وَقِيلَ: فِيهِ قَلْبٌ، أَصْلُهُ: أَيَائِمٌ^(٥)، فَقُلِبَتْ
الْيَاءُ، وَجُعِلَتْ بَعْدَ الْمِيمِ^(٦).

(١) أَبُو زَهْرَةَ، زَهْرَةُ التَّفَاسِيرِ: 5186 / 10.

(٢) ابْنُ فَارَسٍ، الْمَقَابِيسُ: (أَيْمٌ).

(٣) السَّمِينُ، عَمْدَةُ الْحِفَافِ: (أَيْمٌ).

(٤) الرَّائِغُ، لِلْفُرْدَاتِ: (أَيْمٌ).

(٥) صَافِي، الْجَدُولُ: 260 / 18.

(٦) ابْنُ مَنْظُورٍ، لِسَانُ الْعَرَبِ: (أَيْمٌ).

(2) ﴿عِبَادِكُمْ﴾: العبدُ: خلاف الحرِّ، والجمعُ أَعْبَدُ وَعَبِيدٌ، مثْلُ كَلْبٍ وَكَلِيبٍ - وهو جمع عزيزٌ - وَعِبَادٌ وَعَبْدٌ مثْلُ: سَقَفٌ وَسُقُفٌ⁽¹⁾، والعبدُ: الإنسان، حرًّا كانَ أو رقيقًا؛ لِأَنَّهُ مَرْبُوبٌ لِبارِيهِ - جَلَّ وَعَزَّ - مملوكٌ له⁽²⁾، ومنه العبوديَّةُ: إظهار التَّذَلُّلِ، والعِبَادَةُ أبلغُ منها؛ لِأَنَّهَا غاية التَّذَلُّلِ، ولا يستحقُّها إِلَّا مَنْ له غاية الإفضال، وهو الله تعالى، والمراد بالعباد في الآية: الرقيقُ المملوك، وهو الإنسان الذي يصحُّ بيعه وابتباعه، نحو: ﴿وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ﴾ [البقرة: 178]، و﴿عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ﴾ [النحل: 75]، وغلب استعمالُ العبيدِ في الرِّقِّ للنَّاسِ، واستعمال جمع العبادِ في عبوديَّةِ الله سبحانه⁽³⁾.

(3) ﴿وَأَمَّا بَعْضُكُمُ﴾: (أما) أصلٌ واحد، وهو عبوديَّةُ المملوكة، والأَمَةُ: المَرَاةُ ذاتُ عبوديَّةٍ، تقولُ: أَقَرَّتْ بِالْأُمُوَّةِ، أي: بكونها صارت أَمَةً، أي: عُبْدَةً، والإماء: جمع أَمَةٍ، وهنَّ النِّسَاءُ المملوكات⁽⁴⁾.

❁ المعنى الإجمالي:

النَّاسُ بَعْضُهُمْ
أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ

يقول الحقُّ سبحانه: زُوجُوا - أيُّها الأولياء والسادة - من كان أهلاً للزَّوَاجِ، وصالحاً له وراغباً فيه، مَنْ لا زوج له مِنَ الأحرار والحرَّائِرِ والصَّالِحِينَ مِنْ عبيدكم وجواريكم⁽⁵⁾، ولا يمنعكم فقرهم من إتمامه، فَإِنَّهُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ الْيَوْمِ؛ فَاللَّهُ تَعَالَى قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُغْنِيَهُمْ فِي الْحَالِ أَوْ فِي الْمُسْتَقْبَلِ مَتَى شَاءَ ذَلِكَ، فَإِنَّ قُدْرَتَهُ ۖ لَا يُعْجِزُهَا شَيْءٌ، وكم من أناسٍ كانوا فقراءَ قَبْلَ الزَّوَاجِ، ثُمَّ صاروا أغنياء بعده، لِأَنَّهُمْ قَصَدُوا بِزَوَاجِهِمْ حِفْظَ فُرُوجِهِمْ، وتنفيذ ما أمرتهم به شريعةُ الإسلام⁽⁶⁾.

(1) الجوهرى، الصحاح: (عبد).

(2) ابن منظور، لسان العرب: (عبد).

(3) السمين، عمدة الحفاظ: (عبد).

(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (أموى)، وابن منظور، لسان العرب: (أما).

(5) مجموعة من العلماء، التفسير المبسّر، مجمع لللك فهد.

(6) طنطاوي، الوسيط: 122/ 10.

❖ الإيضاح اللغوي والبلاغي:

معنى الواو في قوله: ﴿وَأَنكِحُوا﴾:

الواو للاستئناف، وجملة ﴿وَأَنكِحُوا الْأَيْمَى﴾ استئناف نحوي؛ للشروع في توجيه يُعين على مضمون التوجيهات السابقة في غَضِّ البصر، وحِفظ الفرج، وعدم إبداء الزينة من المؤمنات أمام غير المحارم المنصوص عليهم، والتوبة العامة من اختلاس ما لا يحلُّ من الشهوات، فانتقل بقوله: ﴿وَأَنكِحُوا الْأَيْمَى﴾ إلى ما يُقرَّر هذه المضامين، ويُعين عليها، وهو من باب الاستعانة على تقادي الشيء السَّالب بفعل ضده الموجب، والأشياء تُدفع بأضدادها، وكذلك النِّكاح يدفع أضرار السَّالبة النَّاقصة، من إطلاق البصر والانفعال بالشَّهوة، إلى المعنى الموجب الكامل من الإحصان والعفاف وسكون النَّفس عن تشهِّي المحرِّمات، ويصحُّ أن تكون الواو في: ﴿وَأَنكِحُوا﴾؛ لِعطف مدخولها على جملة: ﴿وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا﴾ [النور: 31]؛ للجمع بين التوبة والنِّكاح، ومناسبة الجمع بينهما: أنَّ النِّكاح هو مَظِنَّةُ استدامة التوبة المأمور بها، وهو من أقوى الأسباب على مُدافعة عوارضها ونواقضها⁽¹⁾.

دلالة الأمر في قوله: ﴿وَأَنكِحُوا﴾:

ظاهر الأمر في قوله: ﴿وَأَنكِحُوا﴾ للوجوب؛ لأنَّ صيغة الأمر المجردة عن القرائن تقتضي الوجوب، وفيه: أنَّ الخالية من زَوْجٍ إذا خطبها كَفَّ ورضيَّته؛ وجب على وليِّها تزويجها إيَّاه، وأنَّه ليس للسَّيِّد مَنع عبده وأمِّته من التزويج مطلقاً؛ لمخالفته نصَّ القرآن في هذه الآية الكريمة⁽²⁾، ويصحُّ حمل الأمر على الندب؛ لأنَّ النِّكاح مندوبٌ عليه في الجملة، فكَذلك إنفاذه والسَّماح به من الأولياء⁽³⁾،

النِّكاح من
أسباب العفاف
واستدامة
التوبة وتحصيل
الاستقامة

صيغة الأمر
المجرَّدة عن
القرائن تقتضي
الوجوب

(1) صافي، الجدول: 258 / 9.

(2) الشنقيطي، أضواء البيان: 530 / 5.

(3) السفي، مدارك التنزيل: 502 / 2.

والظَّاهِرُ أَنَّ صِغَةَ الأَمْرِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَّتَى مِنْكُمْ﴾ مُجْمَلَةٌ تَحْتَمِلُ الْوُجُوبَ وَالنَّدْبَ بِحَسَبِ مَا يَعْضُ مِنْ حَالِ الْمَأْمُورِ بِإِنْكَاحِهِمْ، فَإِنْ كَانُوا مَطْنَةً الْوُقُوعِ فِي مَضَارِّ الدِّينِ أَوْ الدُّنْيَا كَانَ إِنْكَاحُهُمْ وَاجِبًا، وَإِنْ لَمْ يَكُونُوا كَذَلِكَ؛ كَانَ غَيْرَ وَاجِبٍ⁽¹⁾.

عَوْدُ الضَّمِيرِ فِي ﴿وَأَنْكِحُوا﴾:

مَرْجِعُ ضَمِيرِ الْجَمْعِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَّتَى مِنْكُمْ﴾ لِلْأَوْلِيَاءِ وَالسَّادَةِ وَالْحُكَّامِ، أَمْرُهُمُ اللَّهُ بِتَزْوِيجِ الْأَيَّامَى مِنَ الْأَحْرَارِ وَالْحَرَائِرِ، وَمِنَ الْعَبِيدِ وَالْإِمَاءِ، وَإِنْكَاحِ الرَّجُلِ الْحَرِّ يَكُونُ بِمُوَافَقَةِ أَوْلِيَاءِ الْمَرْأَةِ عَلَى تَزْوِيجِهِ مِنْهَا، وَلَيْسَ مَعْنَى إِنْكَاحِهِ بِأَنْهُمْ أَوْلِيَاءُ لَهُ⁽²⁾.

مَعْنَى (أَل) فِي ﴿الْأَيَّتَى﴾:

(أَل) فِي ﴿الْأَيَّتَى﴾ لِلْعَهْدِ، بِقَرِينَةِ قَوْلِهِ: ﴿مِنْكُمْ﴾، أَي: بِتَزْوِيجِ مَنْ لَا زَوْجَ لَهُ، وَمَنْ لَا زَوْجَ لَهَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ، فَيُقْفَهُمْ مِنْ دَلِيلِ الْخُطَابِ - أَي: مَفْهُومِ الْمَخَالَفَةِ - فِي قَوْلِهِ: ﴿مِنْكُمْ﴾ أَنَّ الْأَيَّامَى مِنَ (غَيْرِكُمْ)، أَي: مِنْ غَيْرِ الْمُسْلِمِينَ، وَهُمْ الْكَفَّارُ لَيْسُوا كَذَلِكَ، وَهَذَا الْمَفْهُومُ - الَّذِي فُهِمَ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ - جَاءَ مُصَرِّحًا بِهِ فِي آيَاتٍ أُخَرٍ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى فِي أَيَّامِ الْكَفَّارِ الذُّكُورِ: ﴿وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا﴾ [البقرة: 221]، وَقَوْلِهِ فِي أَيَّامِهِمُ الْإِنَاثِ: ﴿وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَنَّ﴾ [البقرة: 221]، وَقَوْلِهِ فِيهِمَا جَمِيعًا: ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ [المتحنة: 11]، فَهَذِهِ النُّصُوصُ الْقَرَأْنِيَّةُ الصَّرِيحَةُ الْمَوْضُحَةُ لِمَفْهُومِ هَذِهِ الْآيَةِ، تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ لَا يَجُوزُ تَزْوِيجُ الْمُسْلِمَةِ لِلْكَافِرِ مُطْلَقًا، وَأَنَّهُ لَا يَجُوزُ تَزْوِيجُ الْمُسْلِمِ لِلْكَافِرَةِ، إِلَّا أَنَّ عَمُومَ هَذِهِ الْآيَاتِ

دلالة الآية على
اشتراط الولي
لصحة النكاح

حث الأولياء على
تيسير أمر الزواج
صيانةً للأعراض
ولتكوين الأسرة
الصالحة

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 217/18.

(2) البيضاوي، أنوار التنزيل: 4/105، وابن جزي، التسهيل في علوم التنزيل: 2/68، وابن عثيمين،

تفسير سورة النور، ص: 200.

خَصَّصَتْهُ آيَةُ [الثالثة: 5]، فَأَبَانَتْ أَنَّ الْمُسْلِمَ يَجُوزُ لَهُ تَرْوُجُ الْمُحَصَّنَةِ الْكِتَابِيَّةِ خَاصَّةً⁽¹⁾.

دلالة التعبير ﴿الْأَيُّمَى﴾ مَادَّةً وَصِيغَةً:

﴿الْأَيُّمَى﴾، جمع الأيِّم: اسمٌ لمن ليس له زوجٌ - أنثى كان أم ذكرًا - وزنه (فَيَعِل) مأخوذ من (أَمَّ يَتَّيْم)، كباع يبيع، وقياس جمعه: (أَيَّامٍ)، ووزن (أَيَّامَى): فعَالَى، وهو جمعٌ لـ (فَيَعِل) على غير القياس، ودلالة (فَعَالَى) صيغة منتهى الجموع لما اشتمل على التنوع في الأيامى من نقص أو آفة أو بلايا وأوجاع، كـ (يتامى)، فلما اشتمل التأيِّم على البليَّة والوجع بفقدان الزوج؛ أتى على هذا الجمع؛ للدلالة على ذلك، وجاءت الآية موافقةً له.

معنى (من) في: ﴿مِنْكُمْ﴾:

(من) في: ﴿الْأَيُّمَى مِنْكُمْ﴾ ابتدائية، أي: من جهتكم في الدين، ويصحُّ أن تكونَ اسمًا بمعنى (بعض)، أي: أنكحوهم بعضكم من الأحرار لا من الأرقاء.

موقع جملة: ﴿وَالصَّالِحِينَ﴾ ممَّا قبله:

قوله: ﴿وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ﴾ معطوفٌ على ﴿الْأَيُّمَى﴾؛ لإشراكهم معهم في حكم العامل، كأنَّه قيل: وأنكحوا الصالحين من عبادكم كذلك، فجمع بين الأحرار والعبيد في حقِّ تزويج الولاة لهم.

معنى (أل) في: ﴿وَالصَّالِحِينَ﴾:

(أل) في الصالحين للعهد، وهو الصلاحُ بمعناه الشرعي، واعتبار الصلاح في الأرقاء دون الأحرار؛ لأنَّ من لا صلاح له من العبيد، لا يتَّمُّ له ضمانٌ سيِّده له، فربَّما وقع الضرر بتزويجه، ولأنَّ سيِّدَهُ غارمٌ له في تزويجه، فيكونُ غُرمًا عليه وعِبْنًا بلا مصلحة، فاستبقاؤه عنده - بلا زواج - خيرٌ من تزويجه.

حق الزواج
مكفول لكل
مسلم حرًّا كان
أو عبدا

الجاهزَّة
النَّفْسِيَّة
المستقيمة هي
مفتاح الصَّلاح
والإصلاح

(1) الشنيطي، أضواء البيان: 530 / 5.

ولمَّا لم يكن مَنْ لا صلاح له من الأحرار والحرائر بهذه المنزلة؛
لم يعتدَّ بصلاحهم، ولم يقيَّد تزويجهم به⁽¹⁾.

ويصحُّ أن يكون التعريف في الصالحين للجنس، أي: الصَّلاح
بمعناه اللغوي، أي: الصَّالحين للنَّكاح والقيام بحقوقه، والصلاح
اللغويُّ أعمُّ من الشرعيِّ، فيدخل فيه صلاحُ الدِّين أيضًا؛ لأنَّ من لا
دين له لا يُسمَّى صالحًا للنَّكاح؛ لاشتراط الدِّيانة في الآية هنا بقوله:
﴿مِنْكُمْ﴾، ووجود الدِّيانة يستلزم قدرًا ضروريًّا من الصَّلاح الشرعيِّ.

دلالة التعبير بـ ﴿وَالصَّالِحِينَ﴾:

الزوج الصالح
من مقومات
الزواج الناجح

التَّعبيرُ بوصف الصَّلاح في قوله: ﴿وَالصَّالِحِينَ﴾؛ للدَّلالة على سلامة
الحال جسًّا ومعنًى، وموافقة الهيئة النفسية والجسدية التي جُعِلَتْ
لازمةً لصيانة عقد النِّكاح وما يترتَّب عليه من آثار، ولذا فالصَّلاح
هنا يشمل عموم السَّوء في الحال، والخلوُّ من ظاهر القوادح.

نكتة العدول عن التعبير بـ (العبيد) إلى التعبير بـ (العباد):

تكريم العبيد
بالعدول إلى
التعبير عنهم
بالعباد حتَّى
على تزويجهم
ومكاتبتهم

نكتةٌ مجيئة الرُّقِّ في الآية هنا على جمع العباد دون العبيد؛ لأنَّه
في محلِّ التَّكريم لهم، بالأمر بتزويجهم، وللتمهيد بهذا الجمع إلى
تحريرهم بالمكاتبة على الإعتاق، والمذكورة في الآية التالية؛ إشارةً
إلى أنَّه ينبغي أن يكون اتِّصاف هؤلاء بالعبودية والمملوكية خالصًا
لله سبحانه، دون أحدٍ من الخلق، ولذا أمر بمكاتبتهم بعد الأمر
بإنكاحهم، تقصُّدًا إلى تخليصهم، ولذا وصفهم بالعباد، دون
العبيد، تحريرًا لتلك الغاية.

نكتة فصل قوله: ﴿إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ﴾:

الفقر ليس سببًا
لمنع التزويج مع
توافر الصَّلاح

جملة: ﴿إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُعْزِمُهُمُ اللَّهُ﴾ استئنافٌ بيانيٌّ؛ لأنَّ عمومَ
الأيامى والعبيد والإماء في صيغة الأمر يُثير سؤال الأولياء والسَّاداتِ
أن يكونَ الراغبُ في تزوُّج المرأة الأيِّم فقيرًا، فهل يرُدُّه الوليُّ؟ وأنَّ

(1) الألويسي، روح المعاني: 342/9.

يكون سيّد العبد فقيراً لا يجد ما ينفقه على زوج عبده، وكذلك سيّد الأمة يخطبها رجلٌ فقيرٌ حرٌّ أو عبداً، فجاء هذا الاشتراط؛ لبيان إرادة العموم في الأحوال⁽¹⁾.

فائدة التعبير بالشرطيّة:

الغرض من أسلوب الشرط - في قوله: ﴿إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُعْزِمَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ - إجراء الكلام مجرى الوعد المعلق بشرطه، فالأسلوب فيه مبالغة في الترغيب في النكاح بجعل حصول الإغناء مشروطاً ومعلّقاً على وجود الفقر، وهذا إعجازٌ في المعنى بديع لا يكون إلا من إله قادر، كأنه سبحانه يولّد الغنى من تلافيف الفقر، كما يخرج الحيّ من الميت، وكما يجعل من الشجر الأخضر ناراً، فإجراء النظم على أسلوب الشرط والجزاء، وجعل الجزاء مترتباً على ضده، وهو الجزاء بالغنى على الفقر؛ غاية في الضمانة وإراحة النفس من عناء التدبير وتفويض الأمر كله لله، وشبيه بهذه الآية في مضمون الوعد والجزاء والتزام العفة ومُجانبة الفحشاء، قوله تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 268]، ولما كانت في معناها، فقد خُتِمَتْ ختامها.

غرض مجيء الشرط بـ﴿إِنْ﴾، دون (إذا):

مجيء الشرط بـ﴿إِنْ﴾ في قوله: ﴿إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ﴾ لوقوع الاحتمال في مدخولها، فقد يقع أن يكونوا فقراء، وقد لا يقع، وأيضاً قد يتحقّق ذلك الغنى بالزواج، وقد لا يتحقّق، حسبما تقتضي مشيئته تعالى، ولا معقّب لحكمه؛ إذ لو اعتقدنا أن الله تعالى يغني كلّ متزوّج على الإطلاق مع أننا نشاهد كثيراً ممّن استمرّ به الفقر بعد النكاح، بل زاد، للزم خُلف الوعد - تقدّس الله وتعالى عن ذلك

يبدّل الله تعالى
أحوال عباده من
حال إلى حال،
بحكمته وعدله

تحقيق الغنى
بالزواج مرهون
بمشيئة الله
وموقوف عليها

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 217 / 18.

- فقد ثبت الاضطرار إلى تقدير شرطٍ للجمع بين الوعد والواقع، وهو المشيئة⁽¹⁾.

نكتة التعبير بالمضارع في قوله: ﴿يَكُونُوا﴾:

دوام الحال من
الحال

التعبيرُ بفعل الكون المضارع؛ للدلالة على إمكان تغيير حال الفقر فيما بعد، وللدلالة على أنَّ الفقر عَرَضٌ يزول، فلا يُستغَرَب تعقيبُه بالغنى والسَّعة، والتعبير المضارع للدلالة على الحال، ويُشعرُ بأنَّه قد يقع في النكاح ضيقٌ وسعة⁽²⁾، وهذا ليس مستفاداً من المضارع وحده، بل من تركيب: ﴿إِنْ يَكُونُوا﴾ بالشكِّ في المضارع، والشكُّ يوجب الاحتمال في المتقابلين.

عود الضمير في ﴿يَكُونُوا﴾:

لا يُـرَدُّ ذو
صلاح بسبب
فقره، فالفقر
والغنى بيد الله
وهو قادر على
إغنائهم

ضميرُ الجمع في قوله: ﴿يَكُونُوا﴾ إمَّا أن يعودَ إلى الأحرار في قوله: ﴿الْأَيْتَى مِنْكُمْ﴾، ولا يرجع إلى العبيد والإماء؛ لأنَّهم لا يملكون شيئاً، وهم أنفسهم مملوكون لسيدهم، ومن لا مَلِكَ له لا غنى له، فهو فقيرٌ شرعاً وقدرًا، ويصحُّ أن يعودَ الضمير على جميع من ذُكر، أي: إن يكن هؤلاء الذين أمرتم بإنكاحهم ذوي فاقةٍ وفقرٍ؛ يغنيهم الله من فضله، فلا يمنعكم فقرهم من إنكاحهم⁽³⁾، وعلى هذا العموم في مرجع الضمير، يكون المراد من إغناء العبيد إغناءهم بإنفاق ساداتهم عليهم، أو بإغناء ساداتهم، فغنى السيّد غنى لعبده، أو المراد إغناؤهم بتكسبهم، وإن كان كسبُ العبد لسيده؛ فإنَّه ينتفع به، ويعود إليه في إنفاق سيده عليه، والقولُ بالعموم في مرجع الضمير أحسن؛ لأنَّه لا التباس في إجراءاته على من سبقوا جميعاً، مع إمكان التأويل السائب عند إيهام الالتباس في المرجع.

(1) ابن النير، الانتصاف: 3/ 235.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 13/ 266.

(3) ابن جرير، جامع البيان: 17/ 274.

دلالة التعبير بالإغناء في قوله: ﴿يُغْنِيهِمُ﴾:

التعبير بالإغناء في جملة الجواب: ﴿يُغْنِيهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾، يدلُّ على الوعد بالكفاية وعدم الحاجة، وهذا المفهوم أوسعُّ من حصول المال، فإنَّ الكفاية قد تقع لمن لا وفرة له، وقد يوصفُ بعدم الحاجة مَنْ استغنى عن المُقتنيات، فَمَنْ لم يكن ذا حاجة إلى شيءٍ ما؛ فهو الغنيُّ عنه، فأَسبابُ الغنى أوسعُّ من المال، والمالُ سببٌ منها.

معنى ﴿مِنْ﴾ في قوله: ﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾:

﴿مِنْ﴾ في قوله: ﴿يُغْنِيهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ ابتدائيةٌ، أي: من جهة فضله ينشأ الغنى، ومعناه: أنَّ الإغناء هو في فضل الله، لا في السبب الظاهر، وهو المال وحده، كأنَّه قيل: يستغنون بفضل الله الذي قد يكون المال منه، ولا ينتفي ذلك الفضل عنهم بقلَّةِ المال، بل الفضل سببٌ في غناهم، ولو حصل لهم من غير السبب الماليِّ الظاهر، وهذا مبنيٌّ على أنَّ منشأ الغنى من الفضل لا من المال، وهذا هو المفهوم من ابتدائيةِ ﴿مِنْ﴾، ويشتمل معنى ﴿مِنْ﴾ هنا على السببية، أي: يستغنون بسبب فضل الله الواسع، ولم يقل: (يغنيهم الله بفضلهم) بالباء السببية؛ لأنَّ استعمال الباء يكون شائعاً فيما يرجع إلى الفاعل، كمن يقول: استغنيت بالله، واستعمال ﴿مِنْ﴾ فيما يرجع إلى المادَّة والآلة - كما في الآية - فالفضل هنا بمنزلة الآلة والمادَّة والأثر⁽¹⁾.

معنى الواو في قوله: ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾:

جملة: ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ استئنافٌ تعليليٌّ مقررٌّ لمضمون الجملة قبله، كأنَّه قيل: (يغنيهم الله من فضله؛ لأنَّه واسعٌ عليم)، فلا يتأثر إفضاله عليهم بقلَّةٍ أو نقص، ولا يقع إغناؤه لهم عبثاً في غير محله،

أسبابُ الغنى
أوسعُّ من المال

منشأ الغنى من
فضل الله، لا
من المال، وفضلُ
الله أوسعُّ من
المال

الوسعُّ حاصلٌ
مضمون؛ لكنَّه
بالعلم يَفْعُ في
مواقعِهِ الْمُقَدَّرَةِ

(1) الفونوي، حاشية الفونوي: 13 / 341.

بل يقع على عِلْمٍ منه بمن يستحقُّهُ، وبمن صدَّق الوعد، وأحسن الظنَّ، وامتثل الأمر، فكان بما عند الله أوثَقَ منه بالأسباب الظاهرة والأحوال الناقصة من العوز والحاجة، وقَدَّمَ الوسع على العِلْم؛ لِيُخْبِرَ أَنَّ الوسع حاصلٌ مضمون، لكنَّه بالعِلْمِ يَقَعُ في مواقِعِهِ المُقَدَّرَةِ⁽¹⁾.

(1) صافي، الجدول: 258 / 9، والقنوجي، فتح البيان: 215 / 9.

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السادس والثلاثون،
سورة المؤمنون من الآية 64 إلى سورة النور الآية 38
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السادس والثلاثون، سورة المؤمنون من الآية 64 إلى سورة النور الآية 38
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2024.

مج. 36، 808 صفحة؛ 24x17 سم.

ردمك: 978-9948-732-79-2

يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.

مج. 36: المجلد السادس والثلاثون، سورة المؤمنون من الآية 64 إلى سورة النور الآية 38.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2-القرآن، بديع 3-القرآن، بلاغة 4-القرآن - سور وآيات 5-القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي: 978-9948-732-78-5

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-8956803 بتاريخ 2024/11/26م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E

«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»